وانهم قوم غرتهم الحياة الدنيا ولذاتها فكان عاقبة امرهم ان اضطروا الى الشهادة على انفسهم بالكفر والمقصود
من شرح حالهم تحذير السامعين وزجرهم عن الكفر والمعاصي قوله عز وجل ذلك اشارة الى ما تقدم ذكره من بعثة
الرسل اليهم وانذارهم سوء العاقبة وقال الزجاج معناه ذلك الذي قصصنا عليك من امر الرسل وامر عذابهم من
كذبهم ان لم يكن ربك يعني لانه لم يكن ربك مهلك القرى بظلم قال الكلبي معناه لم يكن ليهلكهم بذنوبهم من قبل ان ياتيهم
الرسل فتنهاهم فان رجعوا والا اتاهم العذاب وهذا قول جمهور المفسرين قال الفراء يجوز ان يكون المعنى لم يكن
ليهلكهم بظلم منه واهلها وهم غافلون فعلى قول الجمهور يكون الظلم فعلا للكفار وهو شركهم وذنوبهم التي عملوها
وعلى قول الفراء انه لو اهلكهم قبل بعثة الرسل لكان ظالما والله عز وجل يتعالى عن الظلم والقول الاول اصح لانه تعالى
يفعل ما يشاء ويحكم ما يريد لا اعتراض لاحد عليه في شيء من افعاله غير انه اخبر انه لا يعذب قبل بعثة الرسل ولو فعل ذلك
لم يكن ظلما منه قوله تعالى ولكل درجات مما عملوا يعني ولكل عامل بطاعة الله او بمعصيته درجات يعني منازل يبلغها
بعمله ان كان خيرا فخير وان كان شرا فشر وانما سميت درجات لتفاضلها في الارتفاع والانحطاط كتفاضل الدرج
وهذا انما يكون في الثواب والعقاب على قدر اعمالهم في الدنيا فمنهم من هو اعظم ثوابا ومنهم من هو اشد عقابا وهو قول
جمهور المفسرين وقيل ان قوله تعالى ولكل درجات مما عملوا يختص باهل الطاعة لان لفظ الدرجة لا يليق الا بهم وقوله
تعالى وما ربك بغافل عما يعملون مختص باهل الكفر والمعاصي ففيه وعيد وتهديد لهم والقول الاول اصح لان علمه تعالى
شامل لكل المعلومات فيدخل فيه المؤمن والكافر والطائع والعاصي وانه عالم باعمالهم على التفصيل التام فيجزي كل عامل على
قدر عمله وما يليق به من ثواب وعقاب قوله عز وجل وربك الغني يعني عن خلقه وذلك انه تعالى لما بين ان لكل عامل
بطاعة او معصية درجة على قدر عمله بين ان تخصيص المطيعين بالثواب والعاصين بالعقاب ليس لانه محتاج الى طاعة
المطيع ومنتقص بمعصية العاصي بل هو الغني على الاطلاق وان جميع الخلق فقراء اليه ذو الرحمة قال ابن عباس باوليائه
واهل طاعته وقال الكلبي بخلقه ذو التجاوز عنهم فمن رحمته تاخير العذاب عن المذنبين لعلهم يتوبون ويرجعون
ان يشا يذهبكم يعني يهلككم الخطاب لاهل مكة ففيه وعيد وتهديد لهم ويستخلف يعني وينشئ ويخلف من بعدكم
يعني من بعد اهلاككم ما يشا يعني من خلقا غيركم امثل واطوع منكم كما انشاكم من ذرية قوم آخرين اختلفت عبارات
المفسرين في هذه اللفظة فقال البغوي اباهم الماضين قرنا بعد قرن وهم اهل سفينة نوح عليه السلام وقال الامام
فخر الدين الرازي في قوله تعالى ويستخلف من بعدكم يعني من بعد اذهابكم لان الاستخلاف لا يكون الا على طريق البدل من فائت
واما قوله ما يشا فالمراد منه خلق ثالث او رابع واختلفوا فيه فقال بعضهم خلقا آخر من امثال الجن والانس قال القاضي
وهو الوجه الاقرب لان القوم يعلمون بالعادة انه تعالى قادر على انشاء امثال هذا الخلق فمتى حمل على خلق ثالث ورابع يكون
اولى في الدلالة على القدرة فكانه تعالى نبه على ان قدرته ليست مقصورة على جنس وجنس من الخلق الذين يصلحون
لرحمته العظيمة التي هي الثواب فبين بهذا الطريق انه تعالى لرحمته لهولاء الاقوام الحاضرين انعام وامهلهم
ولو شا لاماتهم وافناهم وابدل منهم سواهم ثم بين الله تعالى قوة قدرته على ذلك فقال كما انشاكم من ذرية
قوم آخرين لان المراد اذ انكم علم انه تعالى خلق الانسان من نطفة ليس فيها من صورته قليل ولا كثير فوجب
ان يكون ذلك بمحض القدرة والحكمة واذا كان كذلك فكما قدر على تصوير هذه الاجسام بهذه الخاصة فكذلك
يقدر على تصويرهم خلقا آخر مخالفا لهم هذا آخر كلامه وقال الطبري كما انشاكم من ذرية قوم آخرين يقول كما
احدثكم وابتدعكم من بعد خلق آخرين كانوا قبلكم ومعنى من في هذا الموضع التعقيب كما يقال في الكلام
اعطيتك من دينارك ثوبا يعني مكان الدينار ثوبا لا ان الثوب من الدينار بعض كذلك الذين خوطبوا بقوله
كما انشاكم لم يرد باخبارهم هذا الخبر انهم انشئوا من اصلاب قوم آخرين ولكن معنى ذلك ما ذكرنا انهم انشئوا

مكان قوم آخرين قد اهلكوا قبلهم قوله تعالى ان ما توعدون لآت وما انتم بمعجزين يعني ما توعدون به من مجيء الساعة
والبعث بعد الموت والحشر للحساب يوم القيامة بعد موتكم بعد الموت قل الخطاب للنبي صلى الله عليه وسلم اي قل يا محمد
يا قوم اي قل لقومك من كفار قريش اعملوا على مكانتكم وقرئ على مكاناتكم على الجمع والمكانة تكون مصدرا يقال
مكن مكانة اذا تمكن ابلغ التمكين وبمعنى المكان يقال مكان ومكانة كما يقال مقام ومقامة فقوله اعملوا على مكانتكم
يكون معناه اعملوا على تمكنكم من امركم واقصى استطاعتكم وامكانكم ويحتمل ان يكون معناه اعملوا على حالتكم
التي انتم عليها كما يقال للرجل اذا امر ان يثبت على حالة مكانتك يا فلان اي اثبت على ما انت عليه لا تتغير
عنه وقال ابن عباس معناه اعملوا على ناحيتكم اني عامل يعني اني عامل على مكانتي التي انا عليها وما امرني
به ربي والمعنى اثبتوا على ما انتم عليه من الكفر والعداوة فاني ثابت على الاسلام والمصابرة فان قلت
ظاهر الآية يدل على امر الكفار بالاقامة على ما هم عليه من الكفر وذلك لا يجوز قلت معنى الامر
الوعيد والتهديد والمبالغة في الزجر عما هم عليه من الكفر فكانه قال اقيموا على ما انتم عليه من الكفر ان رضيتم
لانفسكم بالعذاب الدائم فهو كقوله تعالى اعملوا ما شئتم ففيه تفويض امر العمل اليهم على سبيل الزجر والتهديد
وليس فيه اطلاق لهم في عمل ما ارادوه من الكفر والمعاصي وقوله تعالى فسوف تعلمون يعني لمن تكون العاقبة
المحمودة لنا او لكم وقيل معناه فسوف تعلمون عند نزول العقاب بكم اينا كان على الحق وعلى الحق نحن ام انتم
من تكون له عاقبة الدار يعني فسوف تعلمون غدا في القيامة لمن تكون له عاقبة الدار وهي الجنة انه لا يفلح
الظالمون قال ابن عباس معناه انه لا يسعد من كفر بي واشرك بي وفي هذه الآية قولان احدهما انها محكمة
وهذا على قول من يقول ان المراد بقوله اعملوا على مكانتكم الوعيد والتهديد والقول الثاني انها منسوخة
بآية السيف وهذا على قول من يقول ان المراد بها ترك القتال قوله تعالى وجعلوا لله مما ذرا من الحرث والانعام
نصيبا الآية لما بين الله عز وجل قبح طريقة الكفار وما كانوا عليه من انكار البعث وغير ذلك عقبه بذكر انواع
من جهالاتهم واحكامهم الفاسدة تنبيها على ضعف عقولهم وفساد ما كانوا عليه في الجاهلية فقال تعالى
وجعلوا لله مما ذرا يعني مما خلق من الحرث يعني الزرع والثمار والانعام يعني ومن الانعام وهي الابل والبقر
والغنم نصيبا يعني قسما وجزءا قال المفسرون كان المشركون في الجاهلية يجعلون لله من حروثهم وثمارهم
وانعامهم وسائر اموالهم نصيبا وللاصنام نصيبا فما جعلوه من ذلك لله صرفوه الى الضيفان والمساكين وما
جعلوه للاصنام انفقوه عليها او على خدمها فان سقط منه شيء مما جعلوه لله في نصيب الاوثان تركوه وقالوا
ان الله غني عن هذا وان سقط شيء من نصيب الاوثان فيما جعلوه لله ردوه الى الاوثان وقالوا انها محتاجة
اليه وكانوا اذا هلك شيء مما جعلوه لله لم يبالوا به واذا انتقص شيء مما جعلوه للاوثان جبروه بما جعلوه لله فذلك
قوله وجعلوا لله مما ذرا من الحرث والانعام نصيبا وللاصنام نصيبا فقالوا هذا لله بزعمهم يعني قولهم الذي هو غير حقيقة
لان معنى زعم حكاية قول يكون مظنة الكذب وكذلك لا يجيء الا في موضع ذم القائل به وانما نسبوا الى الكذب
في قولهم هذا لله بزعمهم وان كانت الاشياء كلها لله لانهم جعلوا للاصنام مع نصيب الاصنام نصيب لله وهو قولهم وهذا لشركائنا
يعني الاصنام وانما سموا الاصنام شركاء لانهم جعلوا لها نصيبا من اموالهم ينفقونه عليها فما كان لشركائهم يعني ما جعلوه
لها من الحرث والانعام فلا يصل الى الله يعني فلا يعطونه المساكين ولا ينفقونه على الضيفان وما كان لله فهو
يصل الى شركائهم والمعنى انهم كانوا يفرقون ما جعلوه للاصنام مما جعلوه لله ولا يفرقون ما جعلوه لله مما جعلوه
للاصنام وقال قتادة كانوا اذا اصابتهم سنة اي قحط وشدة استعانوا بما جعلوه لله واكلوا منه ووفروا
ما جعلوه لشركائهم ولم ياكلوا منه شيئا وقال الحسن والسدي كانوا اذا هلك ما جعلوه لشركائهم اخذوا بدله مما

Copyright © King Saud University